إشكالية التأصيل المنهجي والمعرفي لمفهوم الهوية الليبية

■ أ.د النعمى السائح العالم*

■ **الملخص:**

ناقش هذا البحث إشكالية التأصيل المعرفي لمفهوم الهوية الليبية من خلال عدة محاور، درس الأول مفهوم الهوية الليبية وعلاقته بالمفاهيم الأخرى، وحلل الثاني أبعاد الهوية الليبية واستعرض الثالث مستويات الهوية الليبية، وناقش الرابع مؤسسات تكوين الهوية الليبية وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات

■**Abstract:**

This research discussed the problem of cognitive rooting of the concept of Libyan identity through several axes, the first studied the concept of Libyan identity and its relationship with other concepts, the second analyzed the dimensions of the Libyan identity and the third reviewed the levels of the Libyan identity, and the fourth discussed the institutions of the formation of the Libyan identity and the research reached a set of results and recommendations

■ **المقدمة:**

لم تحظ أزمة الهوية في ليبيا اهتماماً كبيراً من الكثير من المعنيين بالبحث والدراسة والمعالجة، لذلك فإن إشكالية الهوية لا تكمن في عدم التفاهم لهذه الحقائق فحسب بل في محاولة إنكارها نظريا وممارستها واقعيا والابتعاد عن دراستها بعمق بوصفها محددا رئيسا لأنماط السلوك والفعل الاجتماعي والبناء الاجتماعي، والصراع السياسي، وتتمخض تحت هذا التجاهل والإنكار مطامح هوايات بذاتها تمليها المصالح الفئوية والجهوية غير عابئة بالآخرين وبعملية الاستقرار والتنمية وتعيش الدولة الليبية حالة من

* أستاذ بقسم الإعلام - كلية الفنون والإعلام - جامعة طرابلس

الانهيار الذي تمثل في جملة المخاطر والأزمات في كل المجالات فالانقسام السياسي يتفاقم وتتعاظم معه مشكلات الفقر والبطالة والعنف والفساد لذا سنحاول في هذا البحث أن نستجلي هذا المفهوم ونبين ارتباطه وعلاقته بجملة من المصطلحات وأهم المداخل التي تناولته لنصل في الأخير إلى تعريف إجرائي لخدمة أهداف البحث، ومدخل نظري مناسب لطبيعة الدراسة وذلك من خلال عدة محاور.

■ مشكلة البحث:

تتمحور إشكالية البحث في غياب مفهوم واضح للهوية الليبية وغياب المعرفة بالأسس والمعايير التي تحكمه وأهم المداخل النظرية لدراسته وتندرج تحت هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية:-

- ما هي الرؤية المعرفية المعاصرة لمفهوم الهوية الليبية و ما هي محدداتها؟
- ما هي القواسم المشتركة بين هذا المفهوم والمفاهيم الأخرى؟
- هل للهوية الليبية دور في تحقيق المصالحة والتعايش والتفاهم بين مكونات النسيج الاجتماعي الليبي؟
- هل الهوية الليبية عربية أم إسلامية ؟

■ أهمية البحث:

تمكن أهمية البحث في الآتي:

إن هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التي بحاجة إلى أن تفرد له دراسة علمية لمعرفة جوانبه وأبعاده وأهميته بالنسبة للدولة الليبية.

محاولة وضع نظرة إستشراقية لمفهوم الهوية الليبية تساعد الدولة على البناء في المرحلة القادمة.

إضافة علمية للمكتبة الليبية بصفة خاصة والعربية بصفة عامة.

■ **أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

● تقديم نظرة واقعية معتدلة لهذا الموضوع بعيدا عن التطرف والارتجالية.

■ **منهج البحث:**

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها الأولية ومراجعها الثانوية وتصنيفها وتبويبها وغربلتها وتحليلها وصولا إلى إبراز الصورة العلمية المتكاملة لموضوع البحث مع الاستعانة بالمنهج التاريخي.

■ **أدوات البحث:**

اعتمد الباحث في جمع أدبيات موضوع البحث الحالي على الأسلوب المكتبي وذلك للإلمام بجميع متطلبات الدراسة نظريا حيث تم الاطلاع على الجانب المعرفي من الكتب والدراسات والبحوث ذات الصلة بموضوع البحث بشكل عام وحتى تتحقق أهداف البحث تم تقسيمه إلى المحاور التالية.

■ **المحور الأول:**

مفهوم الهوية الليبية

مفهوم الهوية مثله مثل معظم مفاهيم العلوم الاجتماعية والإنسانية يتصف بالعمومية والهلامية، يحتمل الكثير من المعاني والتفسيرات حتى أصبح من أكثر المفاهيم تداولا واكثرها غموضا وتلونا وتشعبا، بل إنه من المفاهيم التي يثار بشدة في مجالات البحث العلمي والجدل السياسي والتفافي نظرا لاقتحامه جميع المجالات العلمية من فلسفة ومنطق وعلوم إنسانية وسياسية هذا من جهة وما يرتبط به من محددات ومؤشرات ومفاهيم مثل الذات، واللغة، والثقافة، والحضارة، والآصالة، والعرف.

وتعرف الهوية إلى ما يكون به الشئ (هو هو) أي من حيث تشخيصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرداتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها وهناك من عرفها بأنها الشفرة التي يمكن للفرد عن

طريقها أن يعرف نفسه والتي بواسطتها يتعرف عليه الآخرون بوصفه ينتمي لتلك الجماعة التي تربطه علاقة قوية بها(على أسعد،2019) ويمثل موضوع الهوية الوطنية وتأزمها في كثير من المجتمعات المعاصرة إحدى أدوات الصراع السياسي والتفاعل داخل المجتمع الواحد ويعد موضوع الهوية الليبية من الموضوعات التي يثار حولها جدل كبير في مجال الفكر والممارسات العملية التي تتضمن جملة من المغالطات من خلال ما يصاحب ذلك من جدل سياسي وثقافي واسع نظرا لما يتعلق بها من تداخلات في المحددات والحقوق إذ يمكن القول إن ليبيا اليوم تعيش أزمة هوية وطنية واضحة المعاني فهي أزمة مركبة ومعقدة فالناس والتجمعات السكانية يعبرون عن أنفسهم في الفضاء العام بهويات مختلفة مناطقية وقبلية وأيديولوجية، والتي علينا أن نناقشها في هذا اللقاء العلمي، والهوية هي الوعي بذات الحضارية والاعتزاز بها والإعلان عنها والعمل على تطويرها وتمكينها في كافة مجالات الحياة في إنجازات وأرقام وإضافات حضارية متجددة لخدمة وتطوير جودة الحياة الإنسانية على كوكب الأرض والهوية هي حقيقة الشيء وصفاته التي يتميز بها عن غيره وتظهر بها شخصيته ويعرف بها عند السؤال عنه (وهيب الشاعر، 2004)، وتقوم هوية كل أمة على ما تتميز به عن غيرها من الأمم كدينها ولغتها، وقوميتها، وتراثها، فالهوية هي علم وفن وأساس صناعة الحضارة الإنسانية وتطورها بداية من الوعي بالذات(فتحية كركوش،2014)، والهوية هي صناعة وتطوير على مستوى نوع التفكير وفضائه، السلوك البشري والفردي والجمعي، الإبداع والابتكار الفردي والمؤسسي والمجتمعي، الأداء والإنجاز المهني الفردي والمؤسسي(وهيب الشاعر، 2004)، ويرى الباحث بأن هوية المجتمع هي أساس بنائه وسر قوته وسبب بقائه وعماد نهضته ونموه وتطوره، كما يرى الباحث بأن الهوية هي تعايش واتفاق مجموعة من البشر على مجموعة من المعتقدات، والأفكار، والمفاهيم، والعادات، والتقاليد التي تحكم وتنظم نمط حياتهم اليومية، فتميزهم عن بقية من حولهم، ويعتزون بها في عالم الأفكار والأشخاص والأشياء ويعتقدون بقيمة ومكانة أشخاص معينين يمثلون إعلاما، سياسية، وعلمية، ودينية، وثقافية، وجهادية، وفنية، وتاريخية ما بالنسبة لهم(سعدي إبراهيم، 2014)، ويخلص الباحث إلى أن مفهوم الهوية يرتكز على نقطة ارتكاز وتجمع القناعة والتراضي، والتعايش، والإحساس، والوعي بالذات، تكامل زمني بين الحاضر والمستقبل، واقع خاص متميز بمكوناته، مكون حي متفاعل داخل ذاته ومحيطه، يؤثر ويتأثر، القابلية للتطور والنمو.

كما أن الهوية هي مجموعة من الخصائص التي تتشكل عبر التاريخ وتصبح صفة لصيقة لشعب من الشعوب تميزه عن غيره(حيدر قاسم، 2010)، لذلك دائما ترتبط الهوية الوطنية بمكونات الوطن ومعتقداته، وقيمه، وعاداته، وتقاليده، ولغته، وتتشكل هذه الهوية من خلال سلسلة من المراحل التاريخية الطويلة وهذا ما تشكلت منه الهوية الليبية ولفهم الهوية الوطنية علينا طرح العديد من التساؤلات من قبيل لماذا يعتبر الدفاع عن الوطن أمرا واجبا وطبيعيا؟ ولماذا يعتبر الافتخار بالهوية الوطنية والانتماء إليها والتغني بها أمرا مهما؟

وبقدر أهمية هذه التساؤلات، بِقدر أن الإجابة عليها أمر مهم أيضا لأنها تتعلق بالوعي وبالاعتقاد الراسخ في العقل البشري سواء كان واعياً أو غير واع، قد تبدو الإجابة مرتكزة على مدى الاعتقاد بوجود الكيان السياسي الذي يطلق عليه اسم الوطن والاعتقاد بوجوده والذي يجمع كافة الأفراد الذين يعيشون داخله ويؤدي إلى تدعيم الشعور بالانتماء إلى فكرة الكيان السياسي والاجتماعي والجغرافي للوطن وبالتالي يحرك المشاعر والعواطف والأحاسيس نحوه ويجعل من الفرد قادراً على تحريك مكانته الشخصية وهويته (عادل شيلة، 2019).

وقد تنازعت اتجاهات رئيسية عديدة في الهوية الليبية بين الوطنية الليبية، والقومية العربية والإسلام والإفريقية، ونتيجة لهذه الظروف المختلفة التي بعضها غير متعارض في حقيقته وجد الليبيون أنفسهم، أو هكذا نظرة إليهم الشعوب الأخرى إليهم في صراع هوية تتعلق بمسألة الانتماء، هل الليبيون عرب مسلمون؟ أم إليهم مجتمع أفريقي؟ أم إنهم ليبيون فحسب؟ ويخلص الباحث إلى أن الهوية الليبية محصورة في الشعب الليبي الحالي، وهو شعب مسلم يغلب عليه الطابع العربي في الانتماء، واللغة، واللهجة الليبية الشعبية السائدة مع وجود بعض السكان الليبيين غير العرب كالليبيين الأمازيغ، والتبو، والليبيون اليوم هم أمة وطنية واحدة يغلب الطابع الإسلامي العربي على شعور وثقافة الغالبية العظمى من أفرادها، إلا إن المكون الأمازيغي، وكذلك الزنجي الأفريقي، والصحراوي من حيث العنصر، وكذلك التأثير الثقافي يظل حاضراً في الشخصية الوطنية الليبية، ويظل جزءاً لايتجزأ من هوية هذه الأمة التي تم الإعلان عن ميلادها عن طريق الأمم المتحدة في 24 ديسمبر 1951(زاهي المغيربي، 2014)، والتساؤل الأهم من وجهة نظر الباحث هو كيف يمكننا بناء

الهوية الليبية؟ وباعتقادي القاصر أن المدخل لبناء الهوية الوطنية الليبية هو استثمار حالة التآخي والتسامح بين مكونات الشعب الليبي وأطيافه المتنوعة والتأسيس عليها في عملية سياسية جامعة تعطي الحق، لتمثيل كل أبناء المجتمع الليبي في مختلف مجالات الحياة كذلك تعزيز الشعور الوطني بين المكونات من خلال اعتماد مناهج تربوية تعزز روح المواطنة وتبتعد عن إثارة روح الخلاف والتزوير التاريخي الذي يقصد من خلاله الإساءة لأي مكون أو شريحة اجتماعية ليبية كذلك تطوير بناء مؤسسات الدولة الليبية الدستورية وخصوصا القضاء مع المحافظة على استقلاليته، واحترام الهويات الأخرى، وحفظ حق ممارستها لطقوسها، شرط أن لا يتقاطع ذلك مع الهوية الوطنية الليبية أو يسيء إليها، **ويرى الباحث** أن ما يهدد ليبيا هو ظهور هويات على أسس مناطقية، أو قبلية، أو جهوية، فالمجتمع الليبي اليوم يواجه أزمات خارقة ولعل أخطرها أزمة الهوية الوطنية، وخاصة بعد فشل الحكومات المتعاقبة على ليبيا في غرس مفهوم الولاء الوطني، إذ لم تنتبه تلك الحكومات لخطورة ظهور هويات على أسس مناطقية، أو قبلية فضلا عن الدور السلبي للمؤسسات السياسية، والتعليمية التي تتعامل مع الأحداث من منطق العصبية القبلية، والجهوية التي مورست طيلة السنوات الماضية في المجتمع الليبي الأمر الذي أدى إلى إنتاج الأزمات وتعزيز الولاءات الضيقة على حساب الهوية الوطنية الجامعة.

ونخلـــص مما سبق إلى أن الهوية الوطنية هي مجموعة من القواسم المعنوية، والحسية المشتركة بين مواطني دولة معينة، تنتقل إليهم عبر مؤسسات الدولة، والمجتمع المتمثلة بالنظام السياسي، والأحزاب والجماعات وغيرها وهذه السمات تتكون عبر الزمن وتشكل النسيج الذي يربط الهوية الفردية بالهوية الجماعية، وكذلك بالهوية الوطنية وهي نتاج اجتماعي ثقافي تاريخي عام يعطي للمواطنين شعوراً بأنهم مرتبطون ببعضهم برباط محدد تتجاوز أحيانا كل الولاءات الفرعية ويخلص الباحث إلى تعريف جامع للهوية الوطنية الليبية بأنها الخصوصية والذاتية وهي ثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه داخل الوطن الليبي بكل مكوناته الاجتماعية والهوية الوطنية الليبية ليست مقتصرة في قبيلة معينة أو منطقة جغرافية محددة بل هي تعبير عن ذات بشكل عام وبدون الهوية الوطنية الليبية الجامعة فلن يكون هناك أمل وتماسك في المجتمع.

كما أن هناك عدة مفاهيم مرتبطة بمفهوم الهوية الوطنية أهمها مفهوم الانتماء والولاء اللذين يسهمان في تشكيل الهوية الوطنية وتنميتها والمحافظة عليها في ظل التطورات الاجتماعية والسياسية وتطبيقا على الحالة الليبية فهناك الكثير من التحديات والعوامل التي أدت إلى تراجع البعد الوطني وترهل الهوية الوطنية مثل الانقسام السياسي الحاصل والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية التي تواجه المجتمع الليبي وبالتالي يتضح حجم التحديات التي تواجه الهوية الوطنية مما يستدعي العمل على تعزيزها وخصوصا من قبل النخب السياسية(زاهي المغيربي، 2014) ويرتبط الولاء بمفهوم الهوية وبالتالي فإن البحث في الهوية الوطنية هو بحث في وحدة الانتماء وتكون الهوية سببا للانتماء ونتيجة له في آن واحد فالانتماء هو مفهوم اجتماعي يمثل علاقة الفرد بالمجتمع أو الجماعة الاجتماعية فالانتماء هو إجابة عن سؤال الهوية من نحن؟ وهو أيضا صورة وضعية التي يأخذها الإنسان اتجاه جماعة معينة أو فلسفة أو عقيدة معينة(عادل الجبوري، 2012) ويخلص الباحث إلى أن الانتماء والولاء يعدان أساسا لتشكيل الهوية الوطنية الليبية وتعزيزها وبذلك تكون المفاهيم الثلاثة مرتبطة ومتلازمة لا تنفصل عن بعضها بحيث تشترك الجماعة في هوية وطنية واحدة ويشعر أفرادها بالانتماء والولاء لتلك الهوية، وعلى الدولة الليبية أن تحتضن الهوية الوطنية الجامعة وتسخرها للدفاع عن أرضها ومجتمعها وفي التنمية الشاملة وإشباع الحاجات الأساسية لمواطنيها وإقرار مبدأ العدالة للمواطن والهوية الليبية شأنها شأن معظم الدول العربية الإسلامية متداخلة وبها الكثير من الأبعاد والتي نستعرضها وفقا لما يلي:

■ **المحور الثاني :**

أبعاد الهوية الليبية:

● **البعد التاريخي:**

كانت أراضي طرابلس في التاريخ القديم تحت السيطرة الفينيقية وضمن مجال نفوذها أما برقة فقد خضعت للسيطرة الإغريقية بينما كانت فزان جزءاً من مملكة جرمة، بعد ذلك هيمن الرومان على طرابلس وبرقة لمدة 4 قرون وكان التحول السياسي الرئيسي الأول في التاريخ الليبي عام 642 م د لارتباطه بالفتح العربي لبرقة، ثم طرابلس عام644 ميلادي، وفزان عام 663 ميلادي، وما صاحب ذلك الفتح من استقرار العرب

الفاتحين، وتزاوجهم من نساء البربر، وانتشار الإسلام واللغة العربية وهو ما أضفى على التراب الليبي طابعا عربيا إسلاميا كانت له السمة الغالبة حتى هذه اللحظة(على ليبة، 2011)، وبهذا فقد اتضحت مساهمة التاريخ في تكوين الهوية الليبية فمنذ إثارتها لأول مرة على إثر الفتح العربي للبلاد الليبية وتعزيزها عقب الغزو الإيطالي للبلاد عام 1911 م ميلادي، حتى اكتمالها في صورتها النهائية بعد الاستقلال 1951م، فالتأكيد على الصبغة العربية لليبيا حديثا له ما يبرره على أساس التطور التاريخي التي عرفته البلاد عدة قرون وأن هذا التمازج بين الحضارات والسلالات البشرية في ليبيا لم يكن تمازجاً انتصرت فيه حضارة واحدة أو سلالة واحدة بل إن الحصيلة نتيجة انصهار هذه الحضارات والسلالات جميعها في هذا الشعب الذي تتألف منه ليبيا اليوم.

- **البعد الجغرافي:**

إن الموقع الجغرافي للدولة الليبية قدم وصفا وتفسيرا لشخصية الدولة الليبية لا يمكن أن نجده خارجه، فالأرض التي قامت عليها الدولة الليبية تمثل عنصرا مؤثرا وفعالا في التأثير على سلوك سكانها وهويتهم وأعطى هذا التوجه الجغرافي أبعاد ثلاثة في تشكيل الهوية الليبية هي :

- **البعد العربي:**

يأتي في الطليعة وليبيا بحكم موقعها يتجاذبها عربيا تياران هما:

أ- التيار المغربي: ويمثله إقليم طرابلس ومنه استمدت المنطقة الغربية سكانها وتحددت وفقا لمعطياته معظم ملامح حضارتها وطرق حياته.

ب- التيار المشرقي: فمن البعد المشرقي استمدت ليبيا عروبتها وإسلامها، ساعدها في ذلك علاقتها مع مصر التي ألقت بظلالها الحضارية على برقة في مختلف العصور(صبا قيس الياسري، 2008).

ونخلص مما سبق بأن ليبيا جمعت بين المؤثرات الإقليمية المغربية والمشرقية وذلك بحكم البيئة الجغرافية التي جعلتها مدخلا للمغرب العربي وبوابة للمشرق دونما تعارض بين البعدين.

● **البعد الإفريقي:**

ليبيا تتوغل في داخل أفريقيا مسافة ألفي كيلو متر الأمر الذي جعلها بوابة رئيسية لما وراءها من الدول الأفريقية كما أعطى هذا البعد ليبيا هويتها الأفريقية، والمقصود هنا هو التضامن في المجال الدولي سياسيا، و اقتصاديا(سعد ناجي، 1995).

● **البعد الاجتماعي:**

عكست خصائص التركيب السكاني للمجتمع الليبي تجانساً كبيراً بين عناصر سكانه فالغالبية من السكان هم عرب مسلمون سنة، ولعلا ضآلة عدد الجماعات الأخرى، البربر، الطوارق، التبو، الزنوج، قد سهلت عملية اندماجهم في العنصر الأول العربي دون التعرض لصراعات اجتماعية معها مع مراعاة أن البربر الذين يشكلون حوالي 5 ٪ من إجمالي عدد سكان ليبيا يشتركون مع العرب في كثير من الخصائص الحضارية مثل التاريخ، الدين، الثقافة، إضافة إلى استخدامهم للحرف العربي في لغتهم كتابة، مما دفع إلى اندماج هذه الفئة مع العنصر العربي(محمد نجيب، 1997).

إن التمازج بين مختلف الشرائح من عرب وبربر وزنوج وأقليات أخرى جعل كل الفوارق بينهم تختفي، ولم تظهر أي مؤشرات داله على وجود توترات اجتماعية بينهم مما شكل عاملاً مهماً في تشكيل الهوية الوطنية الليبية.

● **البعد الثقافي:**

تشير الأبعاد الثقافية للهوية الليبية إلى العوامل التي توجهت نحو بناء الجوانب الأيديولوجية للمجتمع الليبي وتمثلت في نمو الفكرة العربية ونضجها بين المثقفين الليبيين، الذين أسسوا منظومة الهوية الليبية في مستوياتها المتعددة مع الالتزام بالمرجعية العربية الإسلامية، وتأثرهم بالفكر الناصري العروبي، كما أسهمت اللغة العربية والثقافة الإسلامية في تشكيل الهوية الليبية، كما ساهمت عوامل متعددة في تكوين الهوية الثقافية للمجتمع الليبي كان على رأسها الطرق الصوفية، والشعر، والنثر، والقصة، وكان للزوايا دور في نشر الثقافة من خلال التعليم الديني والاجتماعي التي قامت به مما جعلها تشكل عنصراً فاعلا في تشكيل الهوية الليبية ومن أشهر تلك الزوايا (زاوية الشيخ عبد السلام

الأسمر في زليتن، وزاوية الشيخ الزروق بمصراتة، والدوكالي بمسلاتة، والزوايا السنوسية بشرق البلاد وجنوبها) (محمد نجيب، 1997).

● **البعد الإسلامي:**

لا يمكن أن نفهم شخصية ليبيا الحقيقية بدون أن نتعرف على مكون أساسي يجمع جميع الليبيين هو الإسلام فاللغة العربية والإسلام وحدت وسيلة الاتصال بين جميع مكونات المجتمع الليبي فالإسلام منذ استقراره في ليبيا ورسوخه بداية القرن الثاني الهجري لم يصب بأي نكسة بفضل ما قام به بعض الخلفاء والولاة من جهد لنشر الدين واللغة بإرسال العلماء والفقهاء لتعليم سكان ليبيا الدين الإسلامي واللغة العربية (محمود أمين، 1995)، فالإسلام في ليبيا مظلة جمعت مكونات المجتمع الليبي المختلفة أصبح الإسلام جزءاً من هويتهم وثقافتهم وعاداتهم فالإسلام هو الهوية الكبيرة التي لم تطمس الهويات الأخرى المحلية بل حافظت عليها وأضافت إليها ويرى الباحث أن بروز تيارات إسلامية على الساحة السياسية في ليبيا يتمحور سؤال الهوية لديهم حول الدين كأولوية عليا يليه الوطن في الأغلب الأعم فإن احتمالات تعاضدت هذه التيارات مع مليشيات مسلحة مؤمنة بذات الأهداف ومعلبة من ذات الأولويات والولاءات يشكل خطرا متجددا على الدولة الليبية

● **البعد السياسي:**

لقد اعتمدت الأنظمة السياسية التي تعاقبت على حكم ليبيا منذ 1951 على ترسيخ الدور القبلي في حكم ليبيا والذي لم يسهم في بناء الهوية الوطنية الجامعة وما لاحظناه من صراعات مسلحة بين أطراف عدة خلال السنوات الماضية التي كانت تتخذ من السياسة والايدولوجيا غطاء لها وقد نتج عنها الكثير من المظالم والتهميش وممارسة سلوك الاستعلاء والإستقواء بالأجنبي من بعض القوى السياسية التي رفعت شعارات الدولة المدنية والوحدة، والنظام لمصالحها الفئوية وهي في الأساس شعارات خالية من مفاهيمها ومضامينها الحقيقية(سعيد عكاشة، 2004).

ارتكزت جميع تلك الصراعات على القبلية والمناطقية وهوية الدولة وأثر ذلك على

الهوية الوطنية للدولة الليبية والتي لم تحظ بالاهتمام الكافي في مؤتمرات الحوار أو من النخب أو من الدول الراعية للعملية السياسية في ليبيا من خلال تركيزها على آليات العمل السياسي دون الانتباه إلى جذور الأزمة السياسية وعلى هذه النخب والدول الراعية للعملية السياسية في ليبيا أن تسعى لخلق أنموذج مجتمعي بهوية تستوعب كل المكونات على نحو تضمن للجميع الحرية وبناء الدولة الديمقراطية وفقاً للهوية الوطنية الجامعة(آمال سليمان، 2010)، **ويخلص الباحث** إلى أن المكونات الأساسية للهوية الوطنية الليبية تتمثل في الدين الإسلامي واللغة العربية، فهما المكونان الأساسيان اللذان يجمعان كل الليبيين فاللغة العربية والإسلام كانا وسيلة الاتصال بين جميع مكونات المجتمع الليبي.

■ **المحور الثالث:**

مستويات الهوية الليبية.

- **الهوية العائلية**: هناك أنماط من الهوية الليبية ارتبطت بالعائلة والانتماءات العائلية وهي مسألة تقليدية في المجتمع الليبي ذات صلة بعادات المجتمع وتقاليده الموروثة وتأثيرها هام جداً في المجتمع وحياة أفراده.
- **الهوية القبلية**: تشكل الهوية القبلية في ليبيا واحدة من أهم مستويات الهوية التقليدية إذ تميز التاريخ الاجتماعي والسياسي والوطني في ليبيا في كل المراحل بدور القبيلة كإطار أيدلوجي وهذا ما دفع الدولة الحديثة للاعتراف بدور القبيلة وتوظيفها في العمل السياسي وتوزيع الأدوار والوظائف تمشيا مع آليات الهوية القبلية (صلاح الدين السوري، 2005)، **ويرى الباحث** أن النفوذ القوي للقبائل في ليبيا يمثل امتيازاً وتحديا في آن واحد حيث إنه يمكن أن يكون عاملا فعالا في إعادة بناء مؤسسات الدولة عبر خلق دوافع حقيقية لدى المؤسسة القبلية ورغبة في بناء دولة المؤسسات التي تظل فيها القبيلة حاميا للهوية الوطنية ومحافظا على الهوية التفافية الفرعية، إلا إنه من ناحية أخرى يمكن أن يمثل هذا الأمر تحديا خطيراً وعائقا أمام استكمال بناء دولة المؤسسات ،حيث من الممكن أن تعمل هذه المؤسسات التقليدية على إعاقة وجود دولة قوية إذا ما شعرت أن وجود الدولة القوية سينفي وجودها ولا يحتويها وسيقلص مالها من نفوذ.

- **الهوية المدينية** : المدينة هي حاضنة الدولة وفضاؤها الإجتماعى ويبدو أن الهوية العائلية والقبلية بدأت تتحلل الآن وتفقد بعض أهميتها خاصة في المدن لصالح التوجه المدني الهادف إلى تذويب الهويات المحلية كما أن المدن الرئيسية في ليبيا تمثل المكان الأكثر جاذبية لهجرة الريف مما أدى إلى الضغط العددي المتزايد في المدن، مما تسبب في انهيار البنى الاجتماعية القديمة وصعود قيم اجتماعية جديدة(نجلاء محمد نجيب، 1995).

- **الهوية الرسمية**: وتتمحور حول المصطلحات القانونية على سبيل المثال: بطاقة الهوية، جواز السفر، ومن لهم حق الممارسة السياسية، والعمل، والمواطنة، والتعليم، والصحة، وفيمن تنطبق عليهم القوانين الليبية وتقع عليهم الواجبات اتجاه الدولة الليبية (عبد الإله بلفزيا، 2011).

- **الهوية العربية القومية**: الهوية العربية في الخطاب السياسي الليبي المعاصر تعبر عن القناعة بوجود أمة عربية واحدة تتوفر لها كل المقومات الثقافية والاقتصادية التي تجعل من المطابقة بين حدودها السياسية وحدودها القومية مطلبا مشروعا إن لم يكن ملحا في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية السائدة ويشعر الليبيون بهويتهم العربية من خلال انتمائهم إلى العالم العربي وعضويتهم في الجامعة العربية.

- **الهوية الإسلامية الدينية**: الهوية الأساسية الليبية هي العربية الإسلامية وذلك طبقا لدوافع الانتماء الحضاري الإسلامي ولا شك أن مبررات إعطاء الأولوية للعروبة والإسلام في مستويات الهوية الليبية تكمن في النسيج الاجتماعى والثقافي للمجتمع الليبي (عدنان السيد، 2011)،

- **الهوية الإفريقية**: جاء انباعث الهوية الأفريقية الحديثة رداً مباشراً على الموقف الاستعماري والعنصري الذي عانى منه الأفارقة في دولهم وخارجها، وفي ظل تعدد أبعاد الموقف الاستعماري والعنصري اتجاه الأفارقة تعددت مظاهر التعبير على الهوية والانتماء الأفريقي وتحددت أسس ومعايير الهوية الأفريقية وتنوعت من مرحلة تاريخية إلى أخرى، وقد ظل معيار اللون سائداً حتى أواسط القرن العشرين عندما أفسح الطريق أمام معيار أشمل وأوسع هو المعيار القاري كما أن محاولات البحث عن الهوية

الأفريقية قد شهد تطوراً ملحوظاً منذ استقلال ليبيا فتعمقت بعد 1969 حيث عاشت البلاد مرحلة استدعاء لقيم الهوية الثقافية الأفريقية(صبحي قنصوه، 1998).

■ **عناصر الهوية الوطنية الليبية:-**

- **الموقع الجغرافي**: حيث إنّ من يشتركون فيها يضمّهم موقع جغرافي محدد.
- **التاريخ**: وهو التاريخ المشترك الذي يربط من يشتركون في الهوية الوطنية الواحدة، وهو الأحداث التي مرت بآبائهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم بصفتهم الجماعيّة على هذه الأرض.
- **الاقتصاد**: ويربطهم كذلك رباط اقتصاديّ واحد، ونظام مالي واحد، كنظام العملات الموحد، ونظام التسعيرة الموحد لبعض السلع الاستهلاكيّة.
- **العلم الواحد**: وهو الرمز المعنويّ الذي يجمع كل أبناء الشعب الواحد والقضيّة الواحدة، وهو شيء مادي ملموس، له رسم وشكل محدد بألوان محددة، ولكنه يرمز إلى قيمة معنويّة، وهي الهوية الوطنية والانتماء للوطن.
- **الحقوق المشتركة**: حيث يتمتع أبناء الهوية الوطنية الواحدة بالحقوق ذاتها، كحق التعليم، وحق التعبير عن الرأي، وحق الحياة بكرامة وعزة على أرضهم، وحق الملكية، وحق البناء فوق أرضهم، وحق العمل، وغير ذلك من الحقوق التي تجسد معاني الهويّة الوطنية(صبحي قنصوه،1998).

■ **المحور الرابع:**

مؤسسات تكوين الهوية الليبية.

ترتكز فكرة بناء الهوية عند علماء الاجتماع على التنشئة الاجتماعية والسياسية داخل المؤسسات العاملة في الدولة وخارجها، كما تؤثر النظم السياسية والمؤسسات الدينية، والتعليمية في البلد في بلورة مفهوم الهوية وتحديد معالمها وخاصة تلك الأدوات الرسمية وغير الرسمية التي قد يرتبط بها الفرد أو يتعرض لها والتي تستخدم بطريقة أو أخرى في غرس القيم والاتجاهات ، ويتعرض الفرد منذ طفولته وحتى الكبر للعديد من الخبرات

الثقافية التي تقدمها له هذه الوسائل والتي تسهم بشكل كبير في غرس مفهوم الهوية الوطنية في عقل ودهن الفرد وتتعدد هذه الوسائل ويمكن حصرها فيما يلي:

أ- القيادة السياسية:

كان للقيادة السياسية في ليبيا دور في تأكيد الهوية الليبية ورسم معالمها وتحديد مستوياتها وكان أهمها اعتماد القيادة السياسية على تأكيد الهوية القومية التي شكلت السبب الرئيسي في قوة الانتماءات العربية للدولة الليبية واستمر ذلك حتى أواخر التسعينيات من القرن الماضي عندما حاولت السلطة السياسية البحث عن هوية أخرى بديلة مثل الهوية الأفريقية التي قابلها المجتمع بكل ما أوتي من قوة من أجل الإبقاء على انتمائه الليبي (زاهي المغيربي، 1994).

ب- الأســـرة:

للأسرة الليبية دور أولي وهام في عملية تعزيز الهوية الليبية حيث إن الأسرة هي الخلية الأولى التي ينشأ فيها الطفل حيث يولد وليس لديه أي ارتباط مسبق بأي أنماط سلوكية أو أي عادات اجتماعية بل إنه يبدأ في عملية التعلم منذ أيامه الأولى عن طريق ما حوله في الأسرة وتؤثر الاتجاهات العامة للأبوين بوجه عام على الطفل وذلك فيما يختص بالنظام السياسي مثل الانتماء إلى حزب معين أو عقيدة سياسية معينة كما أن علاقته مع والديه تؤثر تأثيرا كبيراً في تكوين الجانب الأكبر من شخصيته وتسهم في توحده مع عدد كبير من الأنماط الثقافية والقيم الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعى والسياسي ومن هنا يبرز دور الأسرة الليبية التي تحتل مركزاً رئيسياً في غرس الهوية الوطنية لذا أطفالها خلال مراحل نموها المختلفة من خلال تعريف أطفالها بالرموز الوطنية والقومية، وتزويد الأطفال عن هويتهم العربية والوطنية فالأسرة هي أول نمط للسلطة يعايشه الطفل وتؤثر طريقة ممارسة هذه السلطة على قيمه واتجاهاته فإذا كان الأب شخصاً سلطوياً في علاقته بأفراد الأسرة بات من المحتمل أن تتأكد لدى الأبناء معاني الخضوع والسلبية والفردية وبالمقابل إذا تميز الأب بالديمقراطية فإن قيم الحرية والاهتمام والجماعية يمكن أن تجد طريقها إلى نفوس الأبناء (آمال سليمان، 1995)،ومن هنا يتضح أن للأسرة دوراً رئيسيا وهاماً في غرس مفهوم الهوية الوطنية لدى أبنائها.

ج- المدرسة:

تعود أهمية هذه المؤسسة في غرس مفهوم الهوية الوطنية كونها تمثل الخبرة الأولى والمباشرة للطفل خارج الأسرة وهي تمارس دوراً حيوياً في غرس الهوية الوطنية من عدة زوايا واتجاهات وربما يعود دور المدرسة الهام والحيوي إلى تناقص وظائف الأسرة الليبية فلقد سلبها نظام الحياة الحضارية عدد من الوظائف من أهمها غرس الهوية الوطنية (كمال المنوفي، 1979).

وتلعب المدرسة دوراً هاماً في غرس الهوية الوطنية وفقاً لما يلي:

- عن طريق التثقيف السياسي الرسمي من خلال الكتب والمقررات الدراسية مثل كتب التاريخ، والتربية القومية، القراءة والمحفوظات، التربية الإسلامية، وتهدف هذه الكتب إلى تعريف التلميذ ببلده ونظامه السياسي وغرس مشاعر الحب والولاء والوطنية وتحديد السلوك المتوقع منه.
- من خلال المناخ السائد في المدرسة المتمثل في الطقوس المدرسية والأنشطة والبرامج.
- من خلال المعلم حيث يمارس المعلمون بفضل اتصالهم اليومي المباشر مع الطلاب دوراً محورياً في غرس الهوية الوطنية سواء من خلال توصيل المعلومات أو بتحسين و تنظيم سبل التفاعل بين الطلاب وحفز قدرتهم على الإنجاز، وبالتالي يفترض أن يمارس المعلم دوراً مهماً في غرس الهوية الوطنية داخل المدرسة بما لديه من علم وما يؤمن به من قيم وما يتبعه من أساليب التدريس والتعامل مع الطلاب(عبد المنعم المشاط، 1998).

د- المسجد:

يعتبر المسجد في ليبيا واحداً من أبرز مؤسسات غرس الهوية الوطنية من خلال تردد الأفراد عليه والاستماع إلى الخطب الدينية والمواعظ و الأحاديث النبوية الشريفة يكتسب الأفراد الكثير من القيم الجديدة ويقلعون عن قيم أخرى تتعارض مع التعاليم الدينية (كمال المنوفي، 1978).

هـ - وسائل الإعلام:

لقد أصبح من المسلم به أن لوسائل الإعلام المختلفة دوراً هاما في المجتمعات نظرا لما تقوم به هذه الوسائل من وظائف إخبارية وتربوية وتثقيفية في المجتمع تنعكس على جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وبعيدا عن الجدل الحاصل في وسائل الإعلام الليبية اليوم بالرغم من تعددها وتنوعها إلا إننا لا نستطيع قياس مدى فعاليتها في ترسيخ الهوية الوطنية الليبية ولا يمكن النظر إلى وسائل الإعلام بمعزل عن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدولة الليبية حيث تعكس وسائل الإعلام الفلسفة السائدة في الدولة في محاولة للتعبير عن هذه الفلسفة وترسيخها في أذهان الأفراد ونتيجة للتقدم التقني وانتشار المعلومات وسرعة تناقلها أصبح لوسائل الإعلام دوراً متزايداً في حياة المجتمعات البشرية وذلك لما تتمتع به هذه الوسائل من قدرة فائقة على نقل المعلومات والأخبار والقيم والتوجهات بصورة سريعة إلى الأفراد ومن هنا فقد اعتنت الأنظمة السياسية بوسائل الإعلام واعتبرتها أحدى أدواتها الرئيسية في التعبير عن مصالحها وقيمها وتعتبر أحدى الأدوات الهامة في تكوين أراء وتوجهات وقيم الأفراد من خلال ما تطرحه من مواضيع وما تناقشه من أراء وما تثيره من جدل حول مجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وبالتالي فإن دور وسائل الإعلام في غرس الهوية الوطنية يبرز من خلال قيام هذه الوسائل بتزويد المواطن بالمعلومات السياسية ومشاركتها في دعم وترسيخ قيمه وتوجهاته اتجاه نظامه السياسي(محمد خليل الرفاعي، 1997)، **وبصفة عامة يرى الباحث** أن لوسائل الإعلام دورا في غرس الهوية الوطنية الليبية من خلال ما يلي :

- تقوم وسائل الإعلام المختلفة بنقل التراث الثقافي والحضاري للأمة الليبية من جيل إلى جيل وغرس القيم السائدة في المجتمع في أذهان الأفراد.
- تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في عملية التعليم السياسي من خلال تنمية وترسيخ الوعي لدى الأفراد ونأمل أن يكون لوسائل الإعلام الليبية دور محوري وهام في غرس وترسيخ الهوية الوطنية الليبية الجامعة لا أن تكون محور هدم كما نراه في وسائل الإعلام المتعددة الآن.

■ **الخاتمـــة:**

الهوية الليبية هي هوية عربية إسلامية داخل المشروع التاريخي للأمة العربية مغربية ومشرقية وليبيا واحدة من الدول العربية الواقعة في الشمال الإفريقي ساد لدى شعبها الانتماء العربي الإسلامي هذا الانتماء ظل حاضراً طوال العصور ولم تستطع أكثر العصور حكماً لليبيا (الحكم العثماني) أن تقضي عليه رغم سيادة اللغة التركية والثقافة التركية وكذلك الاستعمار الإيطالي فالانتماءات الليبية هي انتماءات إسلامية في العقيدة والعبادة عروبيةً في الثقافة والقيم الأدبية قبلية وعائلية ومحلية في النزعة الاجتماعية وهذه التعددية في الواقع طبيعية كما أن هناك وعيا ليبيا بالذات الليبية وشخصيتها المميزة وهذا ما يعكسه حقيقة عدم ذوبانها و انصهارها حيث ظلت الدولة الليبية معتزة بوجودها الخاص وكيانها الوطني طوال المراحل التاريخية الممتدة من الفتح العربي حتى اليوم.

■ **النتائـج:**

1- إن إضعاف الهوية الوطنية الليبية الجامعة يتم لصالح الهويات الفرعية سواء كانت قبلية أو مناطقية والسير في هذا الطريق سيؤدي حتما إلى عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي لذلك لابد من الحفاظ على الهوية الوطنية الجامعة مهما كان الثمن.

2- الوعي بأهمية الهوية الوطنية الليبية له أثار إيجابية يعزز السلم الأهلي، ويحقق الاستقرار، ويساعد البلد على التقدم في مختلف المجالات.

3- ضرورة تحصين الهوية الوطنية الليبية من خلال مواجهة النزاعات العنصرية والمناطقية والجهوية بكل الوسائل المتاحة.

4- تكامل مؤسسات الدولة كالأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام في غرس قيم المواطنة والهوية الوطنية لدى أفراد المجتمع.

■ **التوصيـات:-**

1- أن تدرك النخب السياسية الحاكمة حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها وبالتالي فإن استمرار أدائها السياسي بالطريقة نفسها سيكون له آثار سلبية على المجتمع.

2- ضرورة تمثيل كافة الطوائف والمجموعات ذات الانتماءات المختلفة في لجنة إعداد وصياغة دستور البلاد.

3- على مؤسسات الدولة أن تعمل على ضمان عدم تهميش أو استبعاد أي فصيل اجتماعي أو سياسي.

4- الاهتمام بتوفير الحاجات الأساسية للمواطنين والمساواة والتأكيد على عدالة الفرص خاصة في تولي المناصب العامة والقيادية وعدم حكر هذه المناصب على فصيل أو جماعة قبيلية أو منطقة دون غيرها.

5- أن تهتم الدولة ومؤسساتها بجميع الثقافات وأن تفرد لها مساحة في المؤتمرات والمهرجانات التي تنضمها مما يعطي شعوراً بالآمان واحترام الهوية الوطنية التي تحافظ على ما أدناها من هويات مع احترام خصوصية الفرد وهويته الثقافية والحضارية.

■ **الهوامش:**

1. علي أسعد لطفه، **إشكالية الهوية اليمنية وتداعياتها على مستقبل البلاد السياسي والاجتماعي**، المؤسسة العربية للدراسات الإستراتيجية، 2019، ص3.

2. وهيب الشاعر، **الأردن إلى أين، الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية**، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004، ص17.

3. فتحية كركوش، **إشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة البلدة 2، الجزائر، العدد16، سبتمبر 2014، ص270.

4. وهيب الشاعر، **الأردن إلى أين، الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية**، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004، ص30.

5. سعد إبراهيم، **الفيدرالية والهوية الوطنية العراقية**، ط2، بغداد، درا الكتب الوطنية، 2014، ص32.

6. حيدر قاسم، **إشكالية الهوية الوطنية**، وهي متوفرة على الموقع الإلكتروني .http//aljadidah com **تاريخ الدخول** 2020/11/29 الساعة 20:00 م.

7. عادل شبله، **أزمة الهوية اليمنية وتداعياتها على مستقبل البلاد السياسي الإجتماعى**، المؤسسة

العربية للدراسات الإستراتيجية، 2019، ص20.

8. عادل شبله، **أزمة الهوية اليمنية وتداعياتها على مستقبل البلاد السياسي الإجتماعى**، المؤسسة العربية للدراسات الإستراتيجية، 2019، ص25.

9. زاهي المغيربي، نجيب الحصادي، **التحول الديمقراطي في ليبيا**، تحديات ومالات وفرص، بحث مقدم لأعمال ندوة حول الانتقال الديمقراطي، المركز العربي للأبحاث، تونس،2014، ص36.

10. عادل الجبوري، **الهوية الوطنية والهويات الفرعية في المجتمع التعددي**، وهي متوفرة على الموقع الإلكتروني http//aljadidah.com تاريخ الدخول 2020/11/29 الساعة 20:00 م .

11. علي ليلة، **الأمن القومي العربي في عصر العولمة، اختراق الثقافة وتبديد الهوية**، الكتاب الأول، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2011، ص 191.

12. صبا قيس الياسري، **دور وأهمية ليبيا كحلقة وصل بين الشرق والغرب في التاريخ**، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، يناير 2008، ص114.

13. سعد ناجي، عبد السلام إبراهيم، **الأمن العربي القومي ودول الجوار الأفريقي**، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1995، ص57.

14. محمد نجيب أبو طالب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1997، ص98.

15. آمال سليمان العبيدي، **الهوية في ليبيا، دراسة ميدانية**، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، ص147.

16. محمود أمين، **حول مفهوم الهوية**، الفكر العربي، الكويت، العدد 439، أبريل 1995، ص26.

17. سعيد عكاشة، **الجدل حول التحولات الديمقراطية والليبرالية في ليبيا**، تحرير أحمد منسي، التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، 2014، ص 229.

18. صلاح الدين السوري، **أوضاع العائلة في التركيبة الاجتماعية وتأثيرها السياسي**، أعمال الندوة العلمية الثانية التي عقدت بطرابلس، مركز جهاد الليبيين، 2005، ص2015.

19. نجلاء محمد نجيب، **نخبة المجتمع الهيدروكربوني في الجماهيرية**، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، 1995، ص40.

20. عبد الإله بلقزيا، **الدولة في الوطن العربي وأزمة الشرعية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011، ص 332.

21. عدنان السيد،**تاريخ الدولة بين الماضي والحاضر**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001، ص63.

22. صبحي قنصوه، **قضية الهوية وآثارها على الإدراك الأفريقي للعالم العربي**، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، 1998، ص 195.

23. محمد زاهي المغيربي، **قراءات في السياسية المقارنة**، ط1، بنغازي، جامعة قار يونس، 1994، ص 217.

24. آمال سليمان محمود، **التنشئة السياسية لطلبة المدارس في ليبيا**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قار يونس، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1995، ص22.

25. كمال المنوفي، **التنشئة السياسية في الأدب السياسي المعاصر، مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد 4، يناير 1979، ص 10.

26. عبد المنعم المشاط، **التنمية السياسية في العالم الثالث**، العين، مؤسسة العين للنشر والتوزيع، 1988، ص240.

27. كمال المنوفي، **التنشئة السياسية في الفقه السياسي المعاصر**، مجلة مصر المعاصرة، العدد 335، 1978، ص34.

28. محمد خليل الرفاعي، **أثر وسائل الإعلام في تكوين الوعي البيئي**، المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 215، يناير 1997، ص77.